بسم الله الرحمن الرحيم

# رواندا

# إلهام التغيير في عالم الحروب

## د. نجيب غانم

تشرّفت بحضور فعالية مركز المخا للدراسات الاستراتيجية في اسطنبول يوم الثلثاء الرابع عشر من رجب 1443 هجرية الموافق للخامس عشر من فبراير 2022 ميلادي وكانت الفعاليات قد امتدت ليومين, تدور حول **رواندا: الانتقال الملهم**, وقد استمعت لكلمة سعادة السفير الرواندي السابق لكل من مصر والمغرب الشيخ أبيماها صالح وهو بالمناسبة مفتي سابق لرواندا ويتحدث العربية بطلاقة شارحا جذور وتاريخ الصراع الرواندي الذي كانت ابرز تجلياته المذابح الشهيرة والتي راح ضحيتها أكثر من مليون مواطن رواندي كان أكثرهم من أقلية التوتسي وبعض المعتدلين من اغلبية الهوتو.

قدّم الشيخ صالح سردا مؤثرا لما جرى في رواندا كيف كانت وعانت وكيف اضحت اليوم بلدا زاخرا بالحياة والسلام والتعايش والتنمية والرخاء.

## الجذور التاريخية للصراع العرقي

وصل الى رواندا منذ وقت مبكر وتحديدا في العام 1894 جوستاف ادولف من ألمانيا حيث بدا بالتعامل مع ملوك ذلك الزمان في رواندا وللتو بدأ بالتفريق بين أبناء الشعب الرواندي حيث المعلومة المتداولة عند الروانديين **" نحن أبناء لما نأكل"**, فسكان الجبال من حيث البنية وهيئة الجسم غير سكان الوديان والسهول المنخفضة وهنا بدأ التفريق بين سكان رواندا, وقد ساعد على ذلك تباين واختلافات في الانتماءات والأعراق القبلية لكل من سكان الجبال وسكان السهول وبنى على ذلك التفريق المستعمرون البلجيكيون فيما بعد واصدروا هويات للسكان المحليين ترسّخ ذلك التفريق وهو التفريق الذي استندت عليه المواقف القبلية المتشددة والتي افضت الى الحروب والى المجازر الدموية التي شهدتها رواندا عام 1994 – سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد - وخاصة عند قبيلة الهوتو (ذات الاغلبية السكانية حوالي 80% من سكان رواندا), يليها الاقلية القبلية التوتسي (حوالي 10% من سكان رواندا) بقية النسبة من السكان تعود لقبائل بدائية تعيش في الغابات المطيرة في رواندا.

## ملامح الدور البجيكي في إذكاء الصراع بين الهوتو والتوتسي

- بدا المستعمرون البجيكيون في تفكيك المجتمع الرواندي من خلال إصدار الهوية وفيها خانة لتحديد العرق.
- ولتحديد العرق كان يذكر طول الجسم حيث التوتسي طوال وأقل سمرة (ملامح عربية), وحيث الهوتو قصار وأكثر سمرة (ملامح أفريقية).
- ثم اتجه المستعمر البلجيكي في التفريق بين السكان بحسب نوع العمل حيث الهوتو في الأصل مزارعون بينما التوتسي رعاة للمواشي والابقار.

- ترسخت ايضا فروقات في الدخل والمستوى الاجتماعي حيث التوتسي أقلية لكنّها في نظر المستعمر البجيكي أفضل وأغنى, بينما الهوتو أغلبية لكنّها أفقر وأقل شأنا في نظر البلجيكيين.
- ترسّخت تلك الفروقات وتطورّت الى خطاب كراهية بين السكان الروانديين.
- كما استمر الاهتمام البلجيكي مقدم للتوتسي على حساب الهوتو بحيث أفضى الى جعل التوتسي – الأقلية – ممسكة بحكم البلاد.
- وبالتالي ترسخت في عقيدة الهوتو القتالية أنّ النضال ضد المستعمر يعني القتال ضد التوتسي.
- المجازر الدموية بدأت قبل عام 1994 وهو تاريخ المجزرة الكبرى حيث شهدتها بلدات رواندا كذلك مجازر بعيد الاستقلال في عام 1962 وقد رافقت تلك الفترة هجرات روانديين الى دول اوروبية وافريقية.
- المجزرة الكبرى بدأت في شهر ابريل من عام 1994 واستمرت لمدة مائة يوم وراح ضحيتها مليون ومائتي الف نسمة كان معظمهم من التوتسيين وقليل من الهوتو المعتدلين.

دائما هناك أناس في الخارج يخططون لما يجري بالداخل وخاصة التخطيط للمجازر التي شهدتها رواندا, كان ذلك في العام 1959 وبتحريض من البلجيكيين والفرنسيين جاءت ثورة ( 1959-1962) لتستبدل النظام الملكي التوتسي بنظام جمهوري بقيادة الهوتو، مما اضْطُر أكثر من 336,000 من التوتسي إلى البحث عن ملجأ في البلدان المجاورة وكان اكثرها في أوغندا.

أحد الناجين من مجزرة 1994 الاستاذ عبدالكريم أباريزا وهو اليوم اقتصادي ورجل أعمال – السبب في نجاته أنّه كان يومها طفلا صغيرا وقد فرّ به أقرباؤه الى أوغندا مع بداية المجازر في تسعينات القرن الماضي.

## وجاء في سردية الاستاذ عبدالكريم أباريزا للمذبحة ما يلي:

سأشرح لكم كيف قتل مليون ومائتي الف شخص في رواندا خلال مائة يوم فقط, حيث تم إسقاط طائرة الرئيس الرواندي جوفينال هابيريمانا – وهو من قبيلة الهوتو- وتحديدا في تاريخ السادس من ابريل عام 1994, حيث أصيبت طائرته بصاروخ لدى اقترابها من الهبوط في العاصمة الرواندية كيجالي, وقد تبيّن فيما بعد أنّ إسقاط طائرة الرئيس الرواندي كان بتدبير الطغمة الحاكمة في رواندا وهم من اغلبية الهوتو نفسها التي ينتمي اليها الرئيس المغدور وبدعم ومساعدة في التخطيط من قبل اوروبيين – الروانديون يشيرون بأصابع الإتهام الى دور محتمل لبلجيكيين وفرنسيين – لكن التحقيقات الرسمية الاوروبية فيما بعد نفت تلك التهم (1).

صدرت التوجيهات الحكومية بعد حادث الاغتيال للمواطنين بعدم الخروج من البيوت حيث كانت المليشيات من قبائل الهوتو المدعومة من طرف الحكومة قد تسلّحت بالسيوف والسواطير والبنادق الآلية وتم تزويدها بأسماء وعناوين السكان من قبائل التوتسي في الاحياء السكنة في العاصمة كيجالي وفي بقية المدن والاحياء الرواندية وعند الخامسة صباحا في اليوم الذي تلا اغتيال الرئيس جوفينال هابياريمانا اي يوم السابع من ابريل 1994, بدأت عمليات القتل حيث قتل الاطفال والنساء والشيوخ واستمرت المذابح التي يندى لها جبين الإنسانية لمدة مائة يوم متواصلة, وظلّت وسائل الإعلام العالمية تبث مشاهد بشعة ومرعبة من عمليات الإبادة الجماعية كما بثّت الإذاعات الرواندية المحلية اسماء القتلى, حيث كان يأتي القتلة فيجمعوا الطلاب في المدارس ثم يقومون بإبادتهم جميعا, فعلو نفس الشيء في الكنائس حيث التجىء إليها الكثير من

السكان التوتسي طمعا في النجاة لكن كان القساوسة من الهوتي يرشدون مليشيات القتل لتأتي لتجهز على من اختبىء داخل تلك الكنائس, واليوم تركت تلك الكنائس للعبرة وقد امتلئت بالكثير من الجماجم البشرية شاهدة على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان. امتلئت اراضي رواندا بعشرات الآلاف من الجثث.

**فقط ظلّت مساجد ومساكن وأحياء المسلمين ملاذا آمنا لكل طالب نجاة وبالذات من افراد قبيلة التوتسي.**

ومتحف ضحايا تلك المجازر في كيجالي – العاصمة الرواندية – شاهد على تلك المجازر الأكثر بشاعة ومنها صورة الطفل الذي دفن حيا واستطاع مصور ان يلتقط له صورة وهو مدفون بالكامل لكن بقيت له عين واحدة كانت ظاهرة بين التراب شاهدة على حجم تلك الجرائم وموثقة لبشاعتها.

## ومن ارشيف تاريخ الصراعات والتحولات السياسية والعسكرية في رواندا نقتبس لكم مايلي:

وُلد بول كاغامي في 23 أكتوبر/تشرين الأول 1957 بقرية نائية وسط رواندا (2)، لأسرةٍ من التوتسي تنتمي إلى سلالة من السلاطين تعاقبت على عرش هذه العرقية في فترات ما قبل الاستعمار فرارا من القمع الذي التوتسيين. نزح كاغامي مع أسرته وهو في الثانية من عمره إلى أوغندا استهدف قبيل نيل البلاد استقلالها عام 1959، حيث جرت إعدامات وتصفيات ودُمرت منازل بذريعة وجود مخطط للتوتسي يرمي إلى الإمساك بالسلطة؛ ليدشن ذلك شرخا عرقيا عميقا وصم التاريخ السياسي للبلاد.

عندما كان بول كاغامي في الـ22 من عمره حينئذ، كان ضمن عدد من الشبان التوتسي الروانديين الذين شكلوا نواة جيش موسيفيني في أوغندا والذي كافأهم بتجنيسهم وتعيينهم في مناصب مهمة بالأجهزة العسكرية والأمنية، بعد نجاحه في الإمساك بسدة الحكم إثر إطاحته بنظامي ملتون آبوت ثم تيتو أوكيلو عام 1986

فور إعلان موسيفيني رئيسا لأوغندا، تم تعيين كاغامي رئيسا للاستخبارات العسكرية الأوغندية، وهو منصبٌ خوله نفوذا واسعا سخَّره في خدمة قضيته الأولى، وهي عودة التوتسي إلى رواندا وحكمها, أنشأ كاغامي لهذا الغرض الجبهة الوطنية الرواندية من جنود من قبيلة التوتسي قوامها حوالي نصف مليون جندي, التي تولى رئاستَها فريد رويجيما، وهو صديق مخلص لكاغامي (3).

قُتل زعيم الجبهة الوطنية رويجيما في المعارك مع الجيش الرواندي في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول 1990، وبعد صراع مرير كاد يُودي بوحدة الجبهة، تدخل الرئيس الأوغندي موسيفيني ليفرض رئيس استخباراته العسكرية ورجل ثقته كاغامي رئيسا للجبهة.

كما سرَّعت المجازر بهجوم الجبهة الوطنية الرواندية التي تمكنت من الوصول إلى كيغالي في يونيو/حزيران 1994، لتَتوقف المجازر ويستقر الأمر لكاغامي الذي أسند رئاسة البلاد إلى باستير بيزيمنغو.

عام 2000، أزاح كاغامي الرئيس بيزيمنغو وأحاله إلى المحاكمة بذريعة الفساد ومخالفة توجه المصالحة الوطنية القاضي بنبذ أيديولوجيا التفرقة العرقية (3)، وحُكم على الرئيس المخلوع بالسجن لمدة 15 سنة، وكان ذلك كافيا للتخلص منه, وكانت الخطوة التالية تسمية كاغامي رئيسا للبلاد بتزكية من البرلمان، وكانت المهمة الأولى التي تنتظره سنّ دستورٍ جديد قادر على مسايرة المرحلة الجديدة وتجاوز شبح المجازر. وقد تم وضع دستور ألغى التفرقة العرقية التي كانت الوثائق المدنية الرسمية تنص عليها،

وتم إقرار الدستور عام 2003، وبالتزامن مع ذلك أُعيد انتخاب كاغامي بالاقتراع العام المباشر، وشكَّل حكومة حظيت فيها النساء بنصيب وافر فاق 30%.

أعيد انتخاب الرجل بعد ذلك في عام 2010، ثم حقق في 4 أغسطس/آب 2017 فوزا كاسحا في انتخابات الرئاسة، ليحصل على ولاية رئاسية ثالثة تمتد سبع سنوات أخرى في حكم الدولة الواقعة في شرق أفريقيا، وذلك بعد أن تم تعديل الدستور في ديسمبر/كانون الأول 2015 بما يسمح له بالاستمرار في السلطة حتى العام 2034.

رفع بول كاغامي شعار **يد تبني ويد تمسح الدموع**, كما اعتمد شعار **ننتصر على الانتقام بغير الانتقام**, وكذلك **القبيلة للفرد والوطن للجميع**, وبالتالي فقد سنّ القوانين والتي تؤسس لمبدأ العدالة الانتقالية وتصفية الجرائم عبرإعادة العمل بالمحاكم الشعبية القروية التقليدية التي تعمل وفق نظام الغاكاكا, وكان صارما في تطبيق القوانين الى الحد الذي اعدم فيه خمسة من ضباطه في الجبهة الوطنية الرواندية الذين قاموا بعمليات انتقام عشية دخولهم للعاصمة كيجالي.

وتم اقتباس هذه المحاكم من مجالس القرويين "غاكاكا" (4), وتعني العشب الاخضر، نسبة الى العشب الذي كان يجلس عليه حكماء القرى لتسوية الخلافات بين الافراد.

رأس حوالي 250 الف قاضي تلك المحاكم القروية داخل حوالي احدى عشر الف مجلس قضائي في كل رواندا. وقد اصدرت تلك المحاكم احكام قضائية بحق عشرات الآلاف ممّن أدينوا بجرائم ضد الانسانية, وتم تصفية تلك الخصومات باعتراف القتلة بالقتل وبالاعتذار لاولياء القتلى وبتطبيق عقوبات عليهم تنتهي بخروجهم بعدها من السجن, أما الذين خططوا واشرفوا على جرائم الإبادة الجماعية فقد احيلوا للسلطات القضائية الرواندية.

## إلهام التغيير في عالم الحروب

يضيف سعادة السفير السابق الشيخ أبيماها صالح أن اليمنيين من حضرموت والعمانيين هم من أدخلوا الإسلام الى رواندا, ولهذا فاليمنيين والعمانيين يحظون باحترام خاص لدى السكان الروانديين وخاصة لدى المسلمين منهم.

**رواندا اليوم**

- الاطفال الذين ولدوا بعد المجازر لايعرفون الانتماءات القبلية ويعيش جنبا الى جنب اطفال القتلة والمقتولين.
- الحكومة أنزلت الناس الذين يعيشون في المناطق الجبلية من سكان الارياف ليعيشوا في المناطق السهلية والوديان وتحصلت كل اسرة منهم على بقرة.
- لايوجد فساد في الاداء الحكومي ومن يقترف جريمة فساد صغرت ام كبرت فمصيره السجن والطرد من الوظيفة.
- نظام جمع وتحصيل الضرائب يعد من افضل الانظمة على مستوى افريقيا والعالم من حيث الدقة والعدالة والانصاف.
- رواندا تعد اليوم افضل دولة في جلب الاستثمار

- افضل مكان لكي تعيش فيه المرأة حيث اغلبية اعضاء البرلمان واعضاء الحكومة من النساء.
- أأمن مكان للعيش في أفريقيا
- ثالث دولة في الخضرة وحماية البيئة في العالم
- افضل دولة في التنمية الانسانية
- انظف دولة في افريقيا
- كيجالي العاصمة انظف مدينة في العالم
- دولة هادئة ومسالمة
- كما أن الروانديين اينما حلوا او استقروا في بلاد فإنّهم سرعان ما يتعلمون ويتقنون لغة البلاد ويقومون بتطوير انفسهم واكتسابهم للكثير من التخصصات والمهارات كما يجيدون الدخول في مجال المال والاعمال واليوم اضحى الكثير منهم من اصحاب رؤوس الاموال.

**كما شاركت في هذه الندوة السياسية لمركز المخا للدراسات الاستراتيجية الدكتورة سناء العوضي – سفيرة سودانية سابقة – وهي خبيرة بالشأن الرواندوي ويعمل زوجها مستشارا للرئيس الرواندي الحالي بول كاغابي وأضافت:**

- كان عبدالكريم أباريزا هو الناجي الوحيد من اسرته وقد وصل بلجيكا شابا قادما اليها من أوغندا.
- هاجر الكثير من التوتسيين الروانديين الى دول ناطقة بالفرنسية مثل فرنسا وبلجيكا واقليم الكيبيك في كندا وكذا هاجر البعض الى امريكا.
- عاد الكثير منهم الى رواندا - ممّن هاجر الى الخارج – وذلك بعد استقرار الاوضاع فيها, وقد صاروا كفاءات ذات خبرات تقنية وتخصصية مرموقة في مختلف مجالات التنمية المستدامة وساهموا في إحداث النقلة النوعية للخدمات ولارتفاع معدلات التنمية في رواندا.
- الاطفال التوتسيون كانوا يضربون بالحائط لكي تتهشّم رؤوسهم.
- متحف المجزرة اهم مرفق في كيجالي
- مرت الكثير من الاسر بتجارب مريرة حيث القتلة من الجيران او من الاهل
- لابد من استخلاص الحكمة حول عبور رواندا من تلك الحالة الى ما بعدها.
- حدثت حالة من التسامح الجماعي بعد ان اعترف القاتل بجريمته واستمع لمعاناة ذوي الضحايا من آثار جريمته.
- أعدم الرئيس بول كاغامي خمسة من ضباطه لانّهم انتقموا كما سجن بعض الضباط لانّهم تستروا على هؤلاء الضباط.
- هناك فرق بين ان يكون عندك رئيس تقليدي او يوجد رئيس قائد وبول كاغابي رئيس قائد.
- اليوم يوجد في رواندا طبقة متعلمة عادت الى وطنها بمستوى عال من الخبرات والتخصصات والمهارات.
- في رواندا اغلقوا السفارة الفرنسية ومنعوا التحدث او المعاملة باللغة الفرنسية واعتمدوا اللغة الانجليزية لغة رسمية للتحدث وللمعاملات الرسمية.
- يوجد توسع هائل في التعليم
- تم توزيع تطبيق على اجهزة الموبايل للمزارعين ولرعاة الماشية يوضح لهم كيف بامكانهم حصولهم على المدخلات الزراعية او الاعلاف ومن اي مركز توزيع وبطرق ميسرة ومشجعة وكيف يمكنهم تسويق منتجاتهم سواء الزراعية او من منتجات الحليب والابقار واللحوم وقد ارتفعت مستويات الدخل لتلك الاسر المنتجة وبالتالي ارتفعت معدلات الانتاج القومي.

- الحكومة أنشئت مباني سكنية في المناطق السهلية وفي الوديان وانزلت سكان المناطق الجبلية ليسكنوا بها وخلال سنتين أصبح سكان الجبال الذين قدموا للسكن في المناطق السهلية ا منتجين بعد قامت الدولة بتوزيع البذور للزراعة ووسائل الميكنة للحرث وكذا زوّدت آخرين بأصناف من الدجاج اللاحم والبياض وبالمواشي لكي يقوموا برعيها واكثارها والاستفادة من منتجاتها.
- تمت محاربة الفساد على اكمل وجه.
- مثال: ثبت خطأ غير مقصود تسبّبت به وزيرة الصحة عندما ذكرت لأعضاء البرلمان عدد المعقمات التي تم توزيعها على الموافق الصحية أثناء جائحة كرونا وكان الرقم الصحيح اقل من الرقم الذي ذكرته الوزيرة بحوالي سبعة فكانت النتيجة ان تم طردها من الوظيفة.
- اي نموذج للفساد يتم محاربته وإنهائه فورا.
- خلال ست ساعات فقط يمكنك في كيجالي ان تتحصل على ترخيص لشركة خدمية او استثمارية وان تفتح حساب بالبنك.
- رواندا تعد ثالث اقتصاد في افريقيا
- الافارقة متصالحون مع وجود المرأة بالحكم عكس العالم العربي, وفي رواندا اكثر من خمسة وخمسين بالمائة من اعضاء البرلمان هم من النساء ونفس النسبة في الحكومة.
- اقوى وزيرة خارجية كانت من رواندا.
- وآخر ما قالته الدكتورة سناء العوضي أن ديدن التحوّل والتغيير هو الإنسان, بدأ التدمير برواندا بتدمير المجتمع, وبدأت العودة بتوحيد الإنسان.

## المشاركة اليمنية في هذه الندوة

ساهم الاستاذ الدكتور عبدالله التميمي – استاذ الإعلام – بمادة فيلمية متميزة بالصوت والصورة استعرض من خلاله المشهد الرواندي منذ المجازر في عام 1994 مرورا بدخول قوات الجبهة الوطنية الرواندية الى العاصمة كيجالي بقيادة الرئيس الحالي بول كاغابي, وانتهاء بالنهضة التنموية والعمرانية التي تشهدها رواندا اليوم.

افاد بأن الرئيس الحالي بول كاغابي وهو يجتاح العاصمة كيجالي ويدحر القوات الحكومية كان له هدفان:

- توحيد الشعب
- انتشال البلاد من الفقر والجوع.

وكان له ما أراد حيث أسس هيئة الوحدة والمصالحة وقامت محاكم القرى التي تعمل بنظام الغاكاكا – السابق ذكرها – بالفصل بعشرات الآلاف من القضايا المقدمة لها حيث الاعتراف بالجريمة والتكفير عنا.

كما أدار الندوة باقتدار لافت الاستاذ فؤاد الحميري – نائب وزير الإعلام – وكان يعقب بعد كل محاضر بملخص مفيد للغاية دقيق وشامل.

كان فريق الشباب الخاص بالإعداد والتنظيم والترتيب للمحاضرات والتنسيق للمحاور قد قام بعمل احترافي رائع للغاية, كما قدّم مركز المخا ضيافة كريمة وسخية للمشاركين وللضيوف.

## الخلاصة

هذه تجربة إنسانية ثرّة وغنيّة وضعها القائمون على هذه الندوة والمحاضرون فيها بين أيدينا لنستخلص منها الدروس والعبر فربما يكون بمقدور اليمنيين محاكاتها.

والمطلوب أن تتوفر إرادة وطنية وكتلة حرجة من ابناء اليمن المخلصين تمتلك القوة الكافية – على غرار الجبهة الوطنية الرواندية - والتي تمكنها من الإمساك بزمام المبادرة وتقوم بنزع سلاح المليشيات المقوضة لسلطة الدولة المنازعة لسيادتها وبالتالي تفرض السلام وسيادة القانون والعدالة الانتقالية وجبر الضرر بالقوة اللازمة.

### المراجع


1- افريقيا/فرنسا ترفض التحقيق في حادثة اسقاط طائرة الرئيس الرواندي https://www.aa.com.tr/ar
2- الحرب الاهلية الرواندية, https://ar.wikipedia.org/wiki
3- بول كاغابي – زعيم حزب اصبح رئيس دولة https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/1/18/
4- https://elaph.com/Web/Archive/1023550139872196000